الفصل الرابع

ثمار بر الوالدين في الدنيا والآخرة

مقدمة

إن برّ الوالدين يعدّ من أعظم الحقوق الواجبة على المسلم، ومما يدل على ذلك أمر الله-تعالى- بعبادته، وعدم الإشراك به، ثم الأمر بطاعة الوالدين، وبرّهما والإحسان إليهما، حيث إنّ الوالدين لهما الفضل والمنة، في إيجاد الأبناء بعد فضل الله تعالى. ويتأكد وجوب الإحسان إلى الوالدين عند تقدم العمر بهما، حيث قال الله تعالى: (وَاعْبُدُوا اللهَّ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا).

كما أنّ النبي ﷺ حثّ على البرّ بالوالدين، والإحسان إليهما في عدة مواضعٍ من السنّة النبوية، ومن ذلك ما أورده الإمام مسلم عن الصحابي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، حيث قال: (سألتُ رسولَ الله ﷺ : أيُّ الأعمالِ أحبُّ إلى الله؟ قالَ: الصَّلاةُ على وقتِها، قلتُ: ثمَّ أيٌّ؟ قالَ: ثمَّ برُّ الوالدينِ، قلتُ: ثمَّ أيٌّ؟ قالَ: ثمَّ الجهادُ في سبيلِ اللهِ، قالَ: حدَّثَني بهنَّ، ولوِ استزدتُهُ لزادَني).

إنّ الإسلام أوجب على المسلم عدّة واجباتٍ تجاه والديه، ورتبّ على ذلك الكثير من الأجور والحسنات.

برّ الوالدين يعدّ برّ الوالدين من أعظم الواجبات على المسلم، فهو من العبادات والأعمال الصالحة، التي ترفع درجات العبد في الحياة الدنيا والحياة الآخرة، كما أنّ شكر الوالدين من شكر الله تعالى، حيث قال الله عزّ وجلّ: (أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ)،[٤] كما أنّ برّ الوالدين من أفضل الأعمال عند الله تعالى، كما أنّه مقدمٌ على الجهاد في سبيل الله تعالى، وبرّ الوالدين يتحقق بالعديد من الأفعال والتصرفات التي تصدر من العبد، وفيما يأتي بيان بعضها:

- اللطف بالقول بالتحدث مع الوالدين، وذلك باختيار أحسن الكلمات

عند الكلام معهما، واللين والرفق معهما، والحرص على خفض الجناح لهما، والتكلّم معهما بصوتٍ منخفضٍ، وذلك ما كان ممثلاً بالأنبياء والصحابة والسلف، فابن عونٍ أحد السلف عندما أجاب أمّه بصوتٍ مرتفعٍ، أعتق رقبتين ندماً وكفّارةً على ما فعل، كما أنّ إبراهيم عليه السلام، كان يخاطب أباه المشرك بالله، بقول: (يا أبتِ)، فإنّ الكلام مع الوالدين يجب أن يكون بحبٍ ورحمةٍ وعطفٍ ومودةٍ، وذلك امتثالاً لأوامر الله تعالى، حيث قال: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾،[٦] كما قال أحد السلف معلقاً على الآية الكريمة: (لو كان هناك أقل من الأف لنهى الله عنه).

- كما أنّه يجب على الأبناء وصف الوالدين بأحسن وأفضل الكلام.

- العمل على تحقيق ما يحبانه، ويرغبان به، من كلمات حبٍ وشكرٍ، وثناءٍ، ولباسٍ، وطعامٍ، وشرابٍ، وذلك من غير طلب الوالدين من الأبناء تلك الأمور،

- كما يجب الابتعاد وتجنب ما يكره الوالدين من الأمور والأفعال والتصرفات، ومن ذلك الانشغال بالهواتف المحمولة، أثناء زيارة الوالدين، والاطمئنان إلى أحوالهما، ولا يعدّ تقصير الوالدين بحقوق أبنائهما مبرراً لتقصير الأبناء بحقوقهما.

- الصبر على الوالدين، وتحمل ما يصدر منهما.

- كما أنّ الوالدين بحاجةٍ ماسةٍ إلى البرّ، عند تقدّم العمر بهما، وضعفهما، وعدم قدرتهما على تلبية ما يحتاجانه، ومما يدل على ذلك أنّ النبي ﷺ خصّ ذلك في الذكر، حيث أورد الإمام مسلم في صحيحه عن الصحابي أبي هريرة أنّ النبي ﷺ قال: (أنفَ ُ، ثم رغم أنف ُ، ثم رغم أنف ُ، قيل: من يا رسولَ الله؟ قال:

من أدرك أبويه عند الكبرِ، أحدَّهما أو كليهما فلم يَدْخلِ الجنةَ).

- الدعاء إلى الوالدين بعد موتهما، بالقيام بالأعمال الصالحة لهما، فالوالدين بحاجةٍ إلى البرّ بهما بعد موتهما، ودليل ذلك ما روي أنّ رجلاً قال: يا رسول الله هل بقي من برّ أبويَ شيءٌ أبرّهما به بعد موتهما؟ فقال النبي ﷺ: (نَعم، الصَّلاةُ عليهما، والاستغفارُ لهما، وإنفاذُ عهودِهما مِن بعدِهما، وإكرامُ صديقِهما، وصِلةُ رحمِهما الَّتي لا رحِمَ لك إلَّا مِن قِبَلِهما).

قصص عن البر

القصة الأولي: قصــة علقمـة

علقمة هو صحابى عاش فى عهد النبوة، وكانت لعلقمة هذا قصة عند وفاته.

فكان كثير الاجتهـاد في طاعـة الله، في الـصلاة والـصوم والـصدقة، فمـرض واشتد مرضه، فأرسلت أمرأته إلى رسول الله ﷺ : إن زوجـي علقمـة في النـزاع فأردت أن أعلمك يارسول الله بحاله.

فأرسل النبي ﷺ : عماراً وصهيباً وبلالاً وقال: امضوا إليـه ولقنـوه الـشهادة، فمضوا إليه ودخلوا عليه فوجدوه في النزع الأخير، فجعلوا يلقنونه لا إله إلا الله، ولـسانه لاينطـق بهـا، فأرسـلوا إلى رسـول الله ﷺ يخبرونـه أنـه لا ينطـق لـسانه بالشهادة. فقال النبي ﷺ : هل من أبويه من أحد حيّ؟ قيل يا رسول الله أم كبيرة السن. فأرسل إليها رسول الله ﷺ وقال للرسول: قل لها إن قدرت على المسير إلى رسول الله ﷺ وإلاّ فقري في المنزل حتى يأتيك.

قال: فجاء إليها الرسول فأخبرها بقول رسول الله ﷺ فقالـت: نفـسي لنفـسه فداء أنا أحق بإتيانه. فتوكأت، وقامت على عصا، وأتت رسول الله ﷺ ، فسلَّمت فردَّ عليها السلام، وقال: يا أم علقمة أصدقيني وإن كذبتيني جاء الوحي مـن الله تعالى: كيف كان حال ولدك علقمة؟ قالت: يا رسول الله كثير الصلاة كثير الصيام كثير الصدقة.

قال رسول الله ﷺ : فما حالك؟ قالت: يا رسول الله أنـا عليـه سـاخطة، قـال ولما؟ قالت: يا رسول الله كان يؤثر علىَّ زوجته، ويعصيني، فقال: رسـول الله ﷺ : إن سخط أم علقمة حجب لسان علقمة عن الشهادة ثم قـال: يـا بـلال انطلـق

واجمع لي حطباً كثيراً، قالت: يا رسول الله وما تصنع؟ قال: أحرقه بالنار بين يديك. قالت: يا رسول الله ولدى لا يحتمل قلبي أن تحرقه بالنار بين يدي. قال يا أم علقمة عذاب الله أشد وأبقى، فإن سرك أن يغفر الله له فارضي عنه، فوالذي نفسي بيده لا ينتفع علقمة بصلاته ولا بصيامه ولا بصدقته مادمت عليه ساخطة. فقالت: يا رسول الله إني أشهد الله تعالى وملائكته ومن حضرني من المسلمين أني قد رضيت عن ولدي علقمة. فقال: رسول الله ﷺ : انطلق يا بلال إليه انظر هل يستطيع أن يقول لا إله إلا الله أم لا ؟ فلعل أم علقمة تكلمت بما ليس في قلبها حياءاً مني، فانطلق بلال فسمع علقمة من داخل الدار يقول لا إله إلا الله.

فدخل بلال وقال: يا هؤلاء إن سخط أم علقمة حجب لسانه عن الشهادة وإن رضاها أطلق لسانه، ثم مات علقمة من يومه، فحضره رسول الله ﷺ فأمر بغسله وكفنه ثم صلى عليه، وحضر دفنه. ثم قال: على شفير قبره "يامعشر المهاجرين والأنصار من فضَّل زوجته على أمُّه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لايقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً إلا أن يتوب إلى الله عز وجل ويحسن إليها ويطلب رضاها، فرضى الله في رضاها وسخط الله في سخطها".

حدث ذلك، رغم من أن علقمة هذا كان كثير الصلاة والصيام إلا أن هذا لم ينفعه مع عقوقه لأمه فلنحذر من العقوق الذى يعد من أكبر الكبائر بعد الشرك بالله تعالى.

وعلينا أن ننبه كل من حولنا إلى هذا فربما يكون قد يعق والديه دون أن يدرى، وقد أمرنا الله تعالى فى كتابه الكريم وأوصانا بهما خيرا فقال تعالى: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ

تقلْ لهمَّآ أفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾

القصة الثانية: قصة واقعيّة وأغرب من الخيال

قصّة نـُقلت على لسان إحدى الطبيبات تقول:

دخلت علي في العيادة امرأة في الستينات بصحبة ابنها الثلاثيني! لاحظت حرصه الزائد عليها، يمسك يدها ويصلح لها عباءتها ويمد لها الأكل والماء.

بعد سؤالي عن المشكلة الصحية وطلب الفحوصات، سألته عن حالتها العقلية لأنّ تصرفاتها لم تكن موزونة، فـ قال: إنها متخلفة عقليا منذ الولادة.

تملكني الفضول فـ سألته فـ من يرعاها ؟ قال: أنا ، قلت: والنعم ! ،

ولكن من يهتم بنظافة ملابسها وبدنها؟

قال: أناأدخلها الحمّام -أكرمكم الله- وأحضر ملابسها وانتظرها إلى أن تنتهي وأصفف ملابسها في الدولاب و أضع المتسخ في الغسيل واشتري لها الناقص من الملابس!

قلت: ولم لا تحضر لها خادمة ؟!

قال: لأن أمي مسكينة مثل الطفل لا تشتكي وأخاف أن تؤذيها الشغالة.

اندهشت من كلامه ومقدار برّه بامه وقلت: وهل أنت متزوج ؟

قال: نعم الحمد لله ولدي أطفال.

قلت: إذن زوجتك ترعى أمك؟

قال: هي ما تقصر وهي تطهو الطعام وتقدمه لها، وقد أحضرت لزوجتي خادمه حتى تعينها، ولكن أنا أحرص أن آكل معها حتى أطمئن عشان السكر!

زاد إعجابي ومسكت دمعتي!

اختلست نظرة إلى أظافرها فرأيتها قصيرة ونظيفة،

قلت: ومن يقص لها أظافرها ؟

قال: أنا، وقال يا دكتورة هي مسكينة!

نظرت الأم لـ ولدها وقالت: متى تشتري لي الشيبس؟!

قال: تؤمري .. الان بنروح على البقاله نشتري الشيبس.

طارت الأم من الفرح وقالت : الآن .. الآن!

التفت الأبن وقال: والله إني أفرح لفرحتها أكثر من فرحة عيالي الصغار" ..

سويت نفسي أكتب في الملف حتى ما يبين أنّي متأثرة!"

وسألت: ما عندها غيرك؟

قال: أنا وحيدها لأن الوالد طلقها بعد شهر..

قلت: اذا والدك هو من رباك؟

قال: لا .. جدتي كانت ترعاني وترعاها وتوفيت الله يرحمها وعمري عشر سنوات!

قلت: هل رعتك أمك في مرضك أو تذكر أنها اهتمت فيك؟ أو فرحت لفرحك أو حزنت لحزنك؟

قال: يادكتورة، أمي مسكينة من عمري عشر سنين وأنا شايل همها وأخاف عليها وأرعاها..

كتبت الوصفة وشرحت له الدواء..

مسك يد أمّه، وقال: يللا ألان نروح عالبقالة ... قالت: لا وديني مكّة!

..استغربت!، قلت: لها ليه بدك تروحي مكة؟

قالت: مشان اركب الطيارة!

قلت له: معقول رح توديها لـ مكّة؟

قال : طبعا..

قلت: هي ما عليها حرج لو لم تعتمر لانها مريضه والمريض ما عليه حرج، ليه توديها وتضيّق على نفسك؟، قال: يمكن الفرحة اللي تفرحها إذا وديتها أكثر أجرا عند رب العالمين من عمرتي بدونها..

خرجوا من العيادة وأقفلت بابها وقلت للممرضة: أحتاج للرّاحة، بكيت من كل قلبي وقلت في نفسي هذا وهي لم تكن له أماً..

فقط حملت وولدت لم تربي... لم تسهر الليالي... ولم تُدرسه.. ولم تتألم لألمه.. لم تبكي لبكائه... لم يجافيها النوم خوفا عليه ، لم.. ولم! ..

ومع كل ذلك كل هذا البر!

فـ " هل سنفعل بأمهاتنا الأصحاء .. مثلما فعل بأمه المتخلفة عقليـًا " ؟؟؟

القصة الثالثة: بر ابآه فمآآذآ وجد!

يقول أحد الدعاة:

كان هناك رجل عليه دين، وفي يوم من الأيام جاءه صاحب الدين وطرق عليه الباب ففتح له أحد الأبناء، فاندفع الرجل بدون سلام ولا احترام وأمسك بتلابيب صاحب الدار وقال له: اتق الله وسدد ما عليك من الديون فقد صبرت عليك أكثر من اللازم ونفذ صبري ماذا تراني فاعل بك يا رجل؟!.

وهنا تدخل الابن ودمعة في عينيه وهو يرى والده في هذا الموقف، وقال للرجل كم على والدي لك من الديون، قال أكثر من تسعين ألف ريال، فقال الابن: اترك والدي واسترح وأبشر بالخير، ودخل الشاب إلى غرفته حيث كان قد جمع مبلغا من المال قدره سبعة وعشرون ألف ريال من راتبه ليوم زواجه الذي ينتظره ولكنه آثر أن يفك به ضائقة والده ودينه على أن يبقيه في دولاب ملابسه.

دخل إلى المجلس وقال للرجل: هذه دفعة من دين الوالد قدرها سبعة وعشرون ألف ريال وسوف يأتي الخير ونسدد لك الباقي في القريب العاجل إن شاء الله. هنا بكى الأب وطلب من الرجل أن يعيد المبلغ إلى ابنه فهو محتاج له ولا ذنب له في ذلك، فأصرّ الشاب على أن يأخذ الرجل المبلغ. وودعه عند الباب طالبا منه عدم التعرض لوالده وأن يطالبه هو شخصياً ببقية المبلغ. ثم تقدم الشاب إلى والده وقبل جبينه وقال يا والدي قدرك أكبر من ذلك المبلغ وكل شيء يعوض إذا أمد الله عمرنا ومتعنا بالصحة والعافية فأنا لم أستطع أن أتحمل ذلك الموقف، ولو كنت أملك كل ما عليك من دين لدفعته له ولا أرى دمعة تسقط من عينيك على لحيتك الطاهرة. وهنا احتضن الشيخ ابنه وأجهش بالبكاء وأخذ يقبله

ويقول الله يرضى عليك يا ابني ويوفقك ويحقق لك كل طموحاتك. وفي اليوم التالي وبينما كان الابن منهمكاً في أداء عمله الوظيفي زاره أحد الأصدقاء الذين لم يرهم منذ مدة وبعد سلام وسؤال عن الحال والأحوال قال له ذلك الصديق: يا أخي أمس كنت مع أحد كبار رجال الأعمال وطلب مني أن أبحث له عن رجل مخلص وأمين وذو أخلاق عالية ولديه طموح وقدرة على إدارة العمل وأنا لم أجد شخصاً أعرفه تنطبق عليه هذه الصفات إلا أنت فما رأيك أن نذهب سوياً لتقابله هذا المساء. فتهلل وجه الابن بالبشرى وقال: لعلها دعوة والدي وقد أجابها الله فحمد الله كثيراً، وفي المساء كان الموعد فما أن شاهده رجل الأعمال حتى شعر بارتياح شديد تجاهه وقال: هذا الرجل الذي أبحث عنه وسأله كم راتبك؟ فقال: ما يقارب الخمسة ألاف ريال. فقال له: اذهب غداً وقدم استقالتك وراتبك خمسة عشر ألف ريال، وعمولة من الأرباح ١٠٪ وراتبين بدل سكن وسيارة، وراتب ستة أشهر تصرف لك لتحسين أوضاعك. وما أن سمع الشاب ذلك حتى بكى وهو يقول ابشر بالخير يا والدي. فسأله رجل الأعمال عن سبب بكائه فحدثه بما حصل له قبل يومين، فأمر رجل الأعمال فوراً بتسديد ديون والده، وكانت محصلة أرباحه من العام الأول لا تقل عن نصف مليون ريال. وقفة: بر الوالدين من أعظم الطاعات وأجل القربات وببرهما تتنزل الرحمات وتنكشف الكربات، فقد قرن الله برهما بالتوحيد فقال تعالى: {وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريما} الإسراء. وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ : أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: (الصلاة على وقتها، قلت: ثم أي؟ قال: ثم بر الوالدين، قلت: ثم أي؟ قال: ثم الجهاد في سبيل

الله). وعن عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد اليمن من مراد ثم من قرن، كان به أثر برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدةٌ هو بارٌ بها، لو أقسم على الله لأبرّه، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل) صحيح مسلم. وهذا حيوة بن شريح وهو أحد أئمة المسلمين والعلماء المشهورين يقعد في حلقته يعلم الناس ويأتيه الطلاب من كل مكان ليسمعوا عنه، فتقول له أمه وهو بين طلابه: قم يا حيوة فاعلف الدجاج، فيقوم ويترك التعليم. واعلم أخي الحبيب أن من أبواب الجنة الثمانية (باب الوالد) فلا يفوتك هذا الباب واجتهد في طاعة والديك فو الله برك بهما من أعظم أسباب سعادتك في الدنيا والآخرة. أسال الله جلا وعلا أن يوفقني وجميع المسلمين لبر الوالدين والإحسان إليهما.

❊ ❊ ❊